المحاضرة رقم 2

الأدب والمسرح والسينما

1–تاريخ علاقة الأدب بالفن:

يرتبط الأدب مع مجالات الفنون البصرية خاصة المسرح والسينما، وقد كان بأنواعه يقيم علاقات تخاطب وتحاور مع مختلف الفنون السمعية البصرية والفنون ككل، فقد جاء في فن الشعر وهو أول كتاب تنظيري في الأدب، يقول **أرسطوAristote**: « **الشعراء يحاكون من هم أفضل منا، أو أسوأ، أو مساوون لنا، شأنهم شأن الرسامين**» [1]، كان الشاعر يصور الناس خيرا من واقعهم أو أسوء منه أو كما هو؛ فطرق المساواة ثلاثة: تصوير حرفي ومبالغ فيه وأقل مما هو في الواقع، حاله في هذا شبيه بحال الرسام؛ ألا يكون أرسطو بهذا القول أول من جمع الفنون تحت مبدأ واحد هو المحاكاة؟ وأول من شجع على محاكاة الشعر للرسم، فالمحاكاة هي قانون الفن عند أرسطو، وهي معيار الخلاف بين الفنون، مع أن مصطلح محاكاة Mimesis ظهر مع أفلاطون قبل أرسطو، للتفريق بين الفنون الجميلة والفنون التطبيقية، وبهذا تتوقف قيمة أي عمل فني على مدى انسجامه مع الطبيعة.

ويبقى الألماني **ليسينغ Lessing** [2]أول من تحدث عن العلاقة بين الأدب والفن صراحةً، وقدم محاولة في توضيح الحدود بين الفنين –الرسم والشعر– من خلال الأمثلة التي قدمها في كتابه **Du Laocoon**، وإن كان منحازا إلى الشعر، يقول: « **في حين يمكن لفن الشاعر أن يرسم سمات سلبية، عبر مزجها بسمات إيجابية؛ صورتان في صورة واحدة [....] لا يمكن للرسم الوصول إلى هذه الحرفية، أما الشاعر فيفعلها** » [3]، يستطيع الشاعر أن يشكل لوحة وهو

---

[1]– أرسطو طاليس: فن الشعر، ترجمة وشرح وتحقيق: (بدوي) عبد الرحمان ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 8.

[3]–Lessing (Gouhold Ephraïm): Du Laocoon, ou Des limites respectives de la poésie et la peinture, traduit de l'allemand par vandereourg (Charles), chez Antoine Augustin Renouard, CH, Crapelet, Paris, 1802, p 86. (pdf)

ينظم فيقوم بفعلين؛ التصوير (الرسم) والكلام (الشعر) ، يعود هذا إلى استمرارية الشعر فهو زمني، ولا ينكر ليسينغ في الوقت ذاته أخوة الفنين (**يقول: soeur Jalouse**)، حيث لا يقل الرسم جمالا، وإن كان لا يستطيع تجسيد التوالي الزمني للحدث، في حين يجمع الشعر بين الأسلوبين (غير المتوافقين) التصوير والحدث والزمن والفضاء، أي الجمع بين الرسم والبلاغة في عمل إبداعي واحد، ولا يخفى هنا تأثره الواضح بأرسطو في مسألة أخوة الفنين. ويتفق بعض من الفلاسفة مع ليسينغ في مسألة أسبقية الشعر على باقي الفنون، أمثال **كانط** و**هيجل** و**شوبنهاور**، حيث أن: «**مادة الشعر الحقيقية ليست الصوت، وإنما المخيلة والفهم، لأن المخيلة جزء حتمي في كل فن أمكننا بالتأكيد أن نجد في كل فن بعض من الشعر**»[4]،

مسألة استعانة الأدب بالرسم قديمة جدا، ودليل ذلك ما جاء في "**فن الشعر**" لأرسطو Aristote، الذي ذكر صراحة بأن **سوفوكليس Sophocle**[5] قد: « **أمر برسم المناظر** » [6]، مما يعني أن الرسم كان معينا لابد منه للشعر المسرحي؛ لما فيه من أثر بصري وبلاغة وتأثير، حتى أصبحت المأساة الإغريقية تحاكي حسب أرسطو "طريقة الرسامين المهرة "، فلا تقدم الصورة كما هي بل أجمل أو أسوء مما هي عليه، يقول صاحب لوكون: «**سنجد لوكوناً من خلال مسرحيات سوفوكليس المفقودة [...] لَوْكُونَهُ على درجة المعاناة التي يعبر عنها هذا الموضوع المثير للاهتمام**»[7]، يتخذ ليسينغ من شخصية لوكون Laocoon في الإلياذة مثالا لتزاوج الشعر والرسم، لهذا فقد كان يقارن مدى استيعاب الشعراء لهذا التضافر الأجناسي– بين الشعر والرسم–، بالنظر إلى مشهد الكاهن الطروادي، وهكذا جاء لوكون عند سوفوكليس مضاهيا للوحة الفنية في شدة تعبيره عن الألم.

---

[4]– نوكس (إ): النظريات الجمالية –كانط – هيجل –شوبنهاور، عربه وقدم له: (محمد شفيق)، منشورات بحسون الثقافية، بيروت لبنان، ط1، 1985، ص 116.

[5]– للتعريف بسوفوكليس يمكن العودة إلى الملحق.

[6]– أرسطو طاليس: فن الشعر، ص 15.

[7]– Lessing : Du Laocoon, p 90.

وقد واصل الأدب تفاعله مع الفنون في العصر الحديث من ذلك فنون القرن العشرين من سينما وفيديو، وفنون قديمة كالمسرح، في ما يلي نطرح وسائل استثمار الأدب في هذه الفنون والعكس كذلك.

2– الأدب والسينما:

نستطيع أن نربط نشأة السينما بفكر التصوير، رغم هذا الفن تتعاون فيه مجموعة من العلامات المنوعة بين اللسانية والموسيقية الصوتية والتصويرية، وهي رغبة قديمة تعود إلى ما قبل التاريخ، وقد تطور هذا المفهوم على مر الزمن، لكن هذه الرغبة اتخذت في كل عصر صيغة تتلاءم مع ظروف العصر والحياة، وزاد رواجها في القرن العشرين بتأثير التكنولوجيا.

ولأن السينما تخلد العمل الأدبي المقتبس منها أو المستوحى منها وجب الحديث عن علاقات الأدب بالفن السابع، وطرق التواصل بينهما؟

اخترع الأخوان أوجست ولويس لومبير(Auguste et Louis Lumpiére)، عام 1895 جهاز وبداية من هذا التاريخ بدأ عصر السينما؛ وعرفت الأفلام والممثلون، ويرجع البعض بدايات السينما، أو بتعبير أدق ما قبل البدايات إلى ما دوَّنه الفنان والعالم الإيطالي "ليوناردو دافنشي Leonardo da vinciمن ملاحظات ذكرها جيوفاني باتستا دي لابورتا، في كتابه السحر الطبيعي Natural Magicعام 1558، فقد لاحظ دافنشي أن الإنسان إذا جلس في حجرة تامة الظلام، بينما تكون الشمس ساطعة خارجها، وكان في أحد جوانبها ثقب صغير جدًا في حجم رأس الدبوس، فإن الجالس في الحجرة المظلمة، يمكنه أن يرى على الحائط الذي في مواجهة هذا الثقب الصغير ظلالاً أو خيالات لما هو خارج الحجرة، مثل الأشجار، أو العربات، أو الإنسان الذي يعبر الطريق، نتيجة شعاع من الضوء ينفذ من الثقب الصغير.

وقد جاء في معجم المصطلحات السينمائية:« **الكلمة المتعددة المعاني تدل في الوقت نفسه على الأسلوب التقني وإنتاج الأفلام(عمل في السينما) وعرضها (حفلات سينمائية) وقاعة**

العرض(ذهب إلى السينما) ومجموع نشاطات هذا الميدان (تاريخ السينما)، ومجموع المؤلفات المفلمة مصنفة في قطاعات»[8]، فالمصطلح يطلق على مجموع التقنيات والأساليب المرتبطة بفن تقديم الصور المتحركة، والسينما مصطلح واسع شديد العمومية، وهو يضم تحت عباءته كل ما به علاقة بفن الفيلم من تاريخ، واتجاهات، ونظريات، وحرفيات، ونقد، ويضم كذلك أنواعها الروائية، والتسجيلية، وأفلام– تحريك الرسوم المتحركة–وغير ذلك مما يتعلق بهذا الفن الجميل: «**السينما قبل كل شيء نتاج تفاهم، تستطيع أن ترى في فيلم، الثقة المتبادلة التي تسود من الأعلى إلى الأسفل، وأحد أعظم مكوناتها يكمن في توفير جو من الصداقة»**[9]، فلكي نحصل على فيلم سينمائي لا بد من توافر المعدات الأساسية التالية وهي، آلة لالتقاط الصور، وهي كاميرا التصوير، أو آلة التصوير السينمائي، يلم دعامته مرنة، ومحسس للضوء لالتقاط الصور عليه،، آلة لعرض هذا الفيلم، أو الشريط، ولابد من تضافر مجموعة الأشخاص من مخرجين وتقنيين وكهربائيين وعمال التصوير وعمال التأثرات البصرية والصوتية.

مرت صناعة الأفلام بعدة مراحل بلورة أسس وقواعد وشروط هذا المجال، أولاها كانت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ تشكل المحاولات الأولى، وأن السينما كانت وما تزال أداة اتصال جديدة وبدائية، ولكن يجب إدراك أن الطاقة والعمل الذي بذل لإنتاج هذه الأفلام كان مبهراً، وأن أخذ المنتجين على عاتقهم مهمة إنتاج هذه الأفلام كان أمراً متميزاً.، تميزت هذه الفترة بكثرة الأفلام الوثائقية والمخبرية. ثم تلتها مرحلة بداية القرن العشرين، وتميزت بكثرة التجريب في عملية مونتاج الأفلام، فلم تكن هذه المرحلة صامتة بالكامل، فقد كانت هناك استخدامات لطرق ومؤثرات صوتية خاصة الأفلام الشاعرية ذات الطابع التاريخي الأسماء الشهيرة في هذه المرحلة ضمت شارلي شابلنCharles Chaplin .

[8]-جورنو(ماري تيريز): معجم المصطلحات السينمائية، إدارة: ماري(ميشيل)، تر: بشور(فائز)، ص 16.
[9]-كوكتو(جان): فن السينما، تر: فاتح(تماضر)، الفن السابع(227)، منشورات وزارة الثقافة المؤسسة العامة للسينما، دمشق سوريا 2012، ص31

وعرفت السينما ميلادا ثانيا بداية من الحرب العالمية الثانية، يبدأ هذه العصر بإنتاج أول فيلم ناطق بعنوان "مغني الجاز" عام 1927، بالإضافة إلى أفلام ناطقة أخرى متنوعة أنتجت في هذه المرحلة، كما شهدت أفلام الثلاثينيات استخداماً أكثر للألوان، وبدأت الرسوم المتحركة، وفي هذه المرحلة أيضاً ظهرت العروض النهارية للأفلام، وبدأت تتنامى في المسارح مع موجة الكوميديا، وبروز نجوم لفن السينما انتشرت أسماؤهم في ذلك الحين .حدثت الحرب العالمية الثانية كل أنواع التغيرات في صناعة الفيلم، فخلال وبعد الحرب ازدهرت الكوميديا بشكل ملحوظ، وتربَّعت الأفلام الموسيقية على عرش السينما، كما انتشرت أفلام الرعب، ولكن باستخدام ضئيل للمؤثرات الخاصة بسبب ارتفاع تكاليف الإنتاج، فقد صنعت نفقات الإنتاج فرقاً ملحوظاً بين الميزانيات الكبيرة والصغيرة للأفلام، ولجأت استوديوهات السينما لاستخدام ميزانيات صغيرة لإنتاج أفلام غير مكلِّفة للعامة، وذلك لجذب الجماهير. لذلك ظهرت الأفلام الجماهيرية في هذه المرحلة والتي يمكن تصنيفها إلى أفلام استخبارات وأفلام غابات، والأفلام الاستغلالية، أما أفلام الخيال العلمي فقد ظهرت حوالي عام 1950.

وعرفت الستينيات من القرن العشرين النضج في صناعة السينما بشكل حقيقي، فقد ظهرت في هذا العصر التجهيزات الفنية المتطورة للفيلم من موسيقى، وديكور، وغير ذلك. وفي هذا العصر بدأت الأفلام من الدول المختلفة تدخل إلى الولايات المتحدة الأمريكية من خلال حوائط هوليوود السينمائية، وبدأت الأفلام الجماهيرية تستبدل بأفلام رخيصة، كما بدأت الاستوديوهات الكبيرة تفقد الكثير من قوتها في مجال التوزيع. كما ظهر لصناعة الفيلم عدو جديد يسمى التليفزيون، كما أصبح للكمبيوتر إسهام في إخراج الفيلم، وللتقنية الحديثة دور في تصميم المؤثرات الخاصة.

– الفيلم:

من الصيغ الدرامية الحديثة المرتبطة بتسجيل الصورة قبل عرضها، وهو الفيلم أي:« **بلورة التصوير الضوئي ثم الشريط المثقب المغطى بطبقة حساسة للضوء اسمح بتسجيل الصور**

وحفظها. ومن باب التوسع أصبحت تعني العمل السينمائي ومجموع الأعمال المنظور إليها حسب مجالاتها، كالفلم الخيالي وفلم المحفوظات....إلخ وبالمقابل فهي على العموم لا تستعمل في الحديث عن الأفلام القصار»[10]، والفيلم يسعى حثيثًا لعرض الحياة الواقعية ولا يعالجها. ولكن على الرغم من ذلك، لا توجد طريقة لصناعة فيلم دون معالجة المعلومات؛ فاختيار الموضوع، والمونتاج، ومزج الصوت كلها نوع من المعالجات، والأفلام السينمائية تعد وسيلة هامة من وسائل الاتصال التي يمكن استخدامها لتوضيح، وتفسير التفاعلات، والعلاقات المتغيرة في مجالات كثيرة، ومع فئات وأعمار مختلفة؛ وتستخدم الأفلام السينمائية في مجالات عديدة، ولأغراض متعددة حيث تستخدم في المجالات التعليمية، والإرشادية، والزراعية، والصناعية، وتتراوح أغراضها بين الإعلام والإرشاد، والتثقيف وغير ذلك من الأغراض الأخرى كالترفيه مثلاً.

أما عن نتائجه وتأثيره:« **الفيلم الذي يتم بناؤه بدون أية أفكار أخلاقية أو اجتماعية، لكن بالعاطفة يكون عرضة للتشويه في مرآة التشويه لجمهور عرضه الأول»**[11]، فللفيلم أثر التنويم المغناطيسي، فغرضه الأول هو توصيل رسالة ما من خلال القصة المصورة، ثم التأثير في المتلقين من خلال الأفكار التي يهدف إليها، مهما كانت هذه الأفكار بناءة أم هدامة.

3– أنواع الفيلم:

1-أفلام الحركة Action: الأفلام التي تعرض متاعب الإنسان في الحياة بأسلوب سريع منتظم.

2- أفلام المغامرات Adventure: أفلام تعرض رحلاتً لأماكن مختلفة.

3- أفلام الرسوم المتحركة Animated: أفلام تعتمد على الرسوم المتحركة.

4- أفلام هزلية أو كوميدية Comedy: أفلام تعرض مواقف هزلية.

5- أفلام الجريمة Crime: وتبنى حبكتها على أعمال إنسانية غير قانونية.

6- أفلام تسجيلية Documentary: أفلام تقدم تقريراً عن موضوع، ليس قصة أو دراما روائية.

7- أفلام مأساوية أو درامية Drama: أفلام تتناول مشاعر إنسانية قوية.

---

[10]- جورنو(ماري تيريز): معجم المصطلحات السينمائية، ص 46.
[11]- كوكتو(جان): فن السينما، ص 23.

8- أفلام عائلية Family: أفلام يتناسب موضوعها مع مختلف الأعمار.

9- أفلام خيالية Fantasy: أفلام تتعامل مع المغامرات الأسطورية، أو تعالج موضوعات عن العصور القديمة.

10- أفلام الرعب Horror: أفلام بها مشاهد مخيفة ومرعبة.

11- أفلام موسيقية Musical: أفلام تعتمد على الموسيقى والرقص كعنصر أساسي.

12- أفلام الخيال العلمي Science Fiction: أفلام تعتمد على مغامرات خيالية تحدث في الفضاء الخارجي مثلاً، أو خارج كوكب الأرض، ولا يستطيع العقل البشري تصورها.

13- أفلام الإثارة Suspense: الأفلام التي تخفي بعض الحقائق والأحداث عن الجمهور، وتكشفها تدريجياً بأكثر الطرق مهارة.

14- أفلام الحروب War: الأفلام التي تعتمد علي الحروب وأحداثها.